صدى الحرية

فريق QMT قدسيا الإعلامي

facebook / sadaALhoryeh
freequd@gmail.com

2 جولات سياسية
3 جبهة حلب
4 ماذا حصل في جنيف
5 في المعتقل (2)
6 مسجدنا العمري
7 ثقافة الحب (8)

أسبوعية ثورية اجتماعية ثورية منوعة

صدى الحرية / العدد الثاني والثلاثون/ الجمعة 7 / شباط / 2014.

جولات سياسية

انتهت الجولة الأولى من مفاوضات مؤتمر جنيف (2) دون الوصول إلى أي نتيجةٍ تغير واقع ما يحدث وما تشهده البلاد يومياً، الجولة الأولى شهدت إصرار المبعوث العربي- الدولي الأخضر الإبراهيمي على نجاحه هو في البقاء مبعوثاً مكلفاً بالملف السوري، الأمر الذي عنى أنه لن يقول الحقيقة كما هي، ولن يحمل المتسببين عن فشل المفاوضات مسؤولياتهم، ولن يلجأ إلى إحراج النظام المحمي من روسيا وإيران، ولن يعلن بالتالي في المدى المنظور أن المفاوضات على الحل السياسي فشلت وأن النظام هو من أدى إلى نهايتها.

في جنيف لم يقبل النظام البحث في الملف الأساسي الذي عقد المؤتمر من أجله وقبل الدعوة للحضور على أساسه وهو هيئة الحكم الانتقالية الكاملة الصلاحيات، لم يقبل أيضاً الاستجابة لمبادرات بناء الثقة بين الجانبين عبر تحقيق بعض التقدم من خلال المسارات الإنسانية، عرقل ومنع وصول المساعدات إلى الأحياء المحاصرة من مدينة حمص، بعد أن كان قد قبل بذلك تحت ضغطٍ روسيٍ على الأرجح وأعلن أمام وسائل الإعلام أنه يقبل السماح بإدخال ونقل المساعدات للمدنيين المحاصرين لكن وببساطة لم يفعل، سلوك النظام في المؤتمر كان يشي بأنه لم يذهب إلى جنيف لكي يتنازل أو يقبل ما كان يرفضه لثلاث سنوات مرت من عمر الثورة، النظام أصر ويصر على أنه هو وحده من يمثل سوريا بل هو سوريا نفسها، وليس لأي أحدٍ سواه ومهما كان أن ينزع عنه تلك الصفة، لذلك رفض المبادرات الإنسانية كما كان يرفضها دائماً، ورفض وسيرفض الحل السياسي كما رفض سابقاً خلال الأيام الأولى من عمر الثورة مطالب الإصلاح التي نادت بها حناجر المتظاهرين، وحملها إليه بعض وجهاء المناطق الذين دعوا إلى القصر الجمهوري لمقابلة سيادته..

في الأثناء استمرت البراميل المتفجرة بالسقوط على معظم المدن والمناطق وخصوصاً مدينة حلب، التي يبدو أن النظام يخطط لإعادة اجتياح المناطق التي تقع تحت سيطرة المعارضة فيها، وهو ربما يسعى لذلك عن طريق تعزيزاتٍ لبنانيةٍ- إيرانيةٍ- عراقيةٍ، بعدما يقوم بتسوية أحياء كاملة من المدينة بالأرض فتتغير طوبوغرافيتها ويصبح اقتحامها والسيطرة النارية عليها أسهل مما هي عليه الآن، كما يمكن له أن يستفيد في معركة حلب القادمة من قواته وعناصره المقاتلة التي سحبها من المناطق التي وقع فيها هدن ومصالحات، وتلك المناطق تشمل العاصمة دمشق وريفها، وبذلك يتحقق للنظام هدفان برميةٍ واحدةٍ: الأول أنه قام بتأمين العاصمة وريفها وضمن بقاء سيطرته عليهما وفرض على ساكنيها رفع علمه ما يعني خضوعها لسيادته وهو ما كان يسعى إليه منذ بداية الثورة، في مقابل حصول سكان هذه المناطق على الراحة والأمان والطعام والانفلات الأمني والفوضى غير الخلاقة، والثاني بأنه سيستفيد من العناصر التي كانت تقاتل على جبهات العاصمة وريفها ويحشدها باتجاه مدينة حلب وربما درعا وربما غيرها، وخصوصاً بعدما كانت كتائب المعارضة قد أشغلت نفسها خلال الفترة الماضية بالقتال مع تنظيم الدولة الإسلامية وهو ما أدى إلى إصابتها بالخسائر البشرية والمادية وأصبحت بالتالي غير جاهزة لمواجهة المعركة الجديدة.

وبمناسبة الحديث عن الهدن فقد شهدت مدينة قدسيا نهاية هذا الأسبوع نشر الحواجز الأمنية فيها تنفيذاً لبنود الهدنة التي وقعها وجهاؤها مع النظام، والواقع أنه من المبكر جداً الحديث عن آثار ونتائج هذه الخطوة وما هي ردود الأفعال عليها، وهل هي فعلاً لخدمة المدينة وأهلها، أم لخدمة النظام، أم لخدمة القائمين على الحواجز، الذين كان بعضهم مقاتلين في سبيل الحرية ثم تحولوا الآن إلى تجار، والأكيد أنهم سيسمعون وهم قائمون على حواجزهم بما سيأتي من أنباء عن معركة حلب.

جبهة حلب

بالتزامن مع مفاوضات مؤتمر جنيف 2 لإيجاد حل للأزمة في سوريا ونقل السلطة، يكثف النظام السوري هجماته الجوية على مدينة حلب، وذلك بهدف الاقتحام البري، وتأتي 'جبهة عزيزة' كإحدى أهم الجبهات التي يحاول النظام الإستماتة لاقتحامها لما لها من أهمية عسكرية. تكمن أهمية قرية عزيزة في أنها أحد مداخل حلب الجنوبية الثلاث، كما تقع على طريق إمدادات النظام بين مطاري حلب والنيرب العسكري وثكنات الجيش في الراموسة.

ويقول أبو محمد من المكتب الإعلامي للواء / أحرار الشام/ في حلب إن النظام يحاول الإستفادة من الأحداث الحالية والتقدم، وبالتالي فك الحصار عن المطارين، وإن تحقق له ما يريد فسيستغني عن خط الإمداد البري، الذي يستنزفه بالعدد والعتاد، نتكلم هنا عن عشرات الآليات ومئات الجنود، كما أن خسارتها بالنسبة للثوار تعني فرض حصار على أحياء عدة من حلب، شبيه بالحصار الذي يفرضه النظام على مدن وبلدات الغوطة الشرقية'.

بعد دخول الثوار إلى حلب وسيطرتهم على الريف الجنوبي، منتصف العام 2012 نشر 'الجيش الحر' قواته في هذه القرية، التي أصبحت إحدى أهم الجبهات في ريف المدينة، وفي محيطها كانت تدور مواجهات دائمة، وخاصة على طريق المتحلق الجنوبي المحاذي لها تماماً. كما شكلت القرية نقطة انطلاق لهجمات الثوار على حامية المطار من جهة الغرب، إلى أن شنت قوات النظام هجوماً كبيراً في آذار/مارس 2013 تمكنت في نهايته من إجبار الثوار على التراجع خارج القرية، ما أمن للنظام محيطي المطارين المدني والعسكري من جهة القرية، وأبعدهم عن ضرب خط إمداداته عبر المتحلق الجنوبي .

لكن الثوار احتفظوا بجزء مهم على أطراف القرية من ناحية الشرق في منطقة الشيخ لطفي، ومنها ظلوا يهاجمون قوات النظام في القرية وفي مطار النيرب العسكري، الأمر الذي دفع بالجيش مدعوماً بمجموعات من الشبيحة وميليشيات من «لواء القدس» الشيعي العراقي إلى شن حملة كبيرة أخيرة من أجل السيطرة على الشيخ لطفي، وهي مزرعة صغيرة تفصل قرية عزيزة عن حي المرجة. وفي الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني/يناير نجحت قوات النظام بالسيطرة على القرية لمدة 48 ساعة فقط، عاد الثوار بعدها وتمكنوا من استعادتها بعد هجوم مضاد عادوا من خلاله ونقلوا المعركة إلى داخل قرية عزيزة التي ما زالت تحت سيطرة قوات النظام. وفي هذا الصدد يقول القائد الميداني في كتائب أحرار الشام الشيخ / أبو محمد / بعد هذه الهجمة الشرسة من نظام الأسد والميليشيات المؤازرة له نقوم بالتصدي لهم، رغم الصعوبات التي واجهتنا وقلة الأعداد التي كانت موجودة في الجبهة، حيث آزرتنا بعض الكتائب التي كانت موجودة في حلب فقمنا بالتصدي للعدو وصده، وتم تحرير قرية الشيخ لطفي ونحن الآن نتحضر لتحرير عزيزة بشكل كامل'. ويقول ناشطون إن النظام يحاول جاهداً السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي في حلب، كي يضعها كورقة ضغط تفاوضية في مؤتمر جنيف 2، دون الالتفات إلى عشرات المدنيين الذين يقتلون كل يوم ببراميل الـ (TNT) التي تلقيها طائرات النظام المحلقة على علو مرتفع جداً.

ماذا حصل في جنيف

ليس من المحتمل على الأقل في الوقت القريب والمنظور التوصل إلى حلٍ شامل ينهي الصراع المسلح الدائر في سوريا، من خلال اجتماعات مؤتمر جنيف2 بل وربما حتى جنيف 3 وغيره، ما لم يتم التوصل إلى صيغة توافقية روسية – أمريكية تندرج تحتها حماية مصالح بعض الدول الحليفة للطرفين وبالطبع نعني ايران والسعودية اللتان تتعارض مصالحهما حتى اللحظة ويقف كل منهما على ضفة مقابلة للآخر، مع الإشارة لقوة الدور الإيراني المتنامي إذا ما لاحظنا استقلال ايران بقرارها السياسي في حين تبقى الدول الداعمة للثورة السورية رهناً لمصالح أمريكية تدور في رحاها، ومن جانبٍ آخر فقد وصل المشهد السوري إلى خط اللاعودة عند جميع الأطراف المتناحرة بغض النظر عن صوابية الفكر لطرف على حساب الآخر، وتحول المشهد إلى صراع ديني – طائفي فرضه نظام الأسد والنشأة التي تربى عليها أقليات سورية طيلة السنوات الخمسين من حكم الأسد الأب والابن، إذا ما اضفنا لها الفترة التي حكم فيها نظام البعث الذي قام أساساً على تفرقة الناس على أسسٍ قومية قسمت الشارع السوري وبهدوء، من جانب آخر يعتبر دخول التنظيمات الجهادية إلى سورية العقبة في وقف الصراع من خلال حل سياسي يرضي الطرفين بحيث لا غالب ولا مغلوب ويبقي الأسد ومصالح حلفائه في سورية، وهو ما لم تفهمه بعد بعض الدول الكبرى، فيما تنبهت له ايران وروسيا، ولكن يمكن القول أن الدبلوماسية الأمريكية – الروسية نجحت في جمع الطرفين إلى طاولة حوار واحدة وهو يعني ثمة اقرار من الطرفين بالآخر، ويبقى الغموض حول تفسير مقررات جنيف1 يشكل عاملاً للأخذ والرد بين طرفي الصراع حيث يفهمه وفد المعارضة بأنه ينص على تشكيل هيئة حكم انتقالي بصلاحيات كاملة فيما رفض النظام ذلك وتحدث وفده عما أسموه مكافحة الإرهاب، وبالرغم من جلوس الوفدين في غرفة واحدة لكن طرفاً منهما لم يحصل على وعدٍ صريح أو ضمانات لبدء حوار فعال ينهي الصراع... الواضح أن هناك رغبة أو تفاهم أمريكي – روسي على إبقاء الوفدين في غرفة حوار، والبدء أولاً بمناقشة الملف الإنساني الذي نجح الإبراهيمي بفرضه على الطاولة والدفع بالحديث حوله، الرهان على عامل الوقت. وليس أمام المؤتمرين سوى الغرق في إجراءات إيصال المساعدات الإنسانية إلى المحاصرين، وأما بالنسبة للائتلاف فإن أي خطوة إيجابية في هذا المسار تعزز صورته في أوساط الذين اعترضوا ويعترضون على قبوله حضور المؤتمر، وبالنسبة لتشكيل هيئة حكم انتقالي فالوفد المعارض لا يعول على قبول الأسد بهذا الشرط وإنما رهانه على اقناع المجتمع الدولي بأن الأسد لا يرغب بالرضوخ لإرادة المجتمع الدولي.

الطريق طويل بلا شك لكن انطلاق المؤتمر سيحدد لاحقاً العوامل والعناصر التي تعرقل التوصل إلى تسوية، لكن من الجلي أن هناك غياب للايرانيين بعد إعادة النظر في دعوتهم، حيث سلك الملف السوري مساراً مختلفاً عن المسار الذي أطلقه تفاهم ايران والدول الست الكبرى على تسوية الملف النووي الإيراني لكن هذا الفصل بين المسارين يظل صورياً. إذ لا يمكن تجاهل الدور والتأثير الإيرانيين في الأزمة السورية ومسارها تصعيداً أو تهدئة، وإن أي تقدم على جبهة المفاعلات النووية سينعكس عاجلاً على ما يحدث في سورية، حيث يعتبر التفاؤل بإمكان تخلي ايران عن الورقة السورية بسهولة ضرب من الوهم، لكن بعض المعطيات الدولية والإقليمية فرضت على الايرانيين سلوك النهج الدبلوماسي، إذاً العقبات كثيرة في طريق التوصل إلى حل نهائي، وتبقى هذه العقبات في كفة وإمكانية قبول النظام بهيئة حكم انتقالية شبه مستحيلة وبخاصة وأن حلفائه لايزالون يمدونه بالعتاد والرجال، فيما يعتبر الأسد قبوله بتشكيل هيئة حكم انتقالي هي توقيع على ورقة رحيله، كذلك فإن المجتمع الدولي كان قد وافق على هذه الهيئة ولكن بشرط موافقة الطرفين النظام والمعارضة وه ما لم يحصل حتى اليوم.

الوصول إلى حل نهائي أمامه طريق طويل قد يمر بمؤتمرات كثيرة ربما نحو تفاهمٍ يشبه ((طائف لبنان)) أو حتى طريقة التفاهم اليمني، والجدير ذكره أن اتفاق الطائف في لبنان أثبت خلال العقود الماضية عدم صلاحيته، إذ لم يقـــــــــــــدم ضماناً

للأقليات بل ربما زاد من تعميق الهوة بينها، فيما غاب مفهوم المواطنة عن الدولة اللبنانية على سبيل المثال، ولعل العراق الذي استفاد من هذا الاتفاق ومن هذه المحاصصة بدأ يعيش سريعاً هشاشة الاتفاق، ونظراً لتحول الصراع في سوريا إلى مفهومه الجديد الذي تؤكد الأحداث أن عنجهية الأسد ومن ورائه حلفائه هي من قاد إلى ذلك بالتالي فأي اتفاق على نفس المنوال لن يكون مقبولاً، بكل الأحوال فإن غياب داعش والنصرة وغيرها من الجماعات الإسلامية المسلحة عن الاجتماعات يؤكد أن هناك مزيداً من الدماء ينتظر السوريون رؤيتها لا قدر الله، فهل سيكون التدخل العسكري الخارجي هو الخيار الأخير أم الأول لمواجهة الواقع الذي وصلت له سورية، أم أن المجتمع الدولي يسعى للبقاء متفرجاً خوفاً من الغرق في مستنقع أفغاني جديد... التفاوض عبر التاريخ يكسبه الطرف الأقوى على الأرض، وهو الطرف الذي يغير موازين القوى، بالتالي ننتظر الأسبق في الحسم، الحسم العسكري، أم الطريق الدبلوماسي؟

في المعتقل (2)

وهكذا تمضي الليالي في السجون ثقيلة وبطيئة وقميئة: «الثانية» دقيقة، و «الدقيقة» ساعة و «اليوم» سنة بحالها... أيام السجن محملة بالقهر والعذابات، وأكثر ما آلم تلك الصبية وحطم نفسيتها في سجنها «صفقة المبادلة» التي تمت بين الثوار وبين النظام، إذ آلمها أنهم اختاروا 300 معتقل وما كانت من بينهم (وهو عدد كبير نسبياً) فشعرت بالغبن والقهر وفقدت صوابها وإحساسها بالمكان والزمان... صرخت بأعلى صوتها، سَبَّت الرئيس وسَبَّت الثوار. ثم سقطت على الأرض، و أصيبت بانهيار عصبي، أخذوها للمشفى وأعطوها إبرة نامت من تأثيرها نصف ساعة، ثم عادت للصراخ وتدهورت حالتها ودخلت المشفى عدة مرات وقضت فيه عدة أيام. وقابلت المزيد من الفتيات وكلهن رفضن الإفصاح عن أسمائهن رغم إقامتهن خارج سوريا، كلهن خائفات! ألهذه الدرجة وصل تأثير النظام؟! وامتد لآلاف الكيلو مترات خارج حدود الوطن؟ أكثرهن في العشرين، صغيرات وغير متزوجات ولا يعرفن شيئاً من الدنيا بعد، بدأت كل واحدة منهن حياتها الواعدة وأحلامها الوردية في سجون الإرهاب. وعلمت منهن أن مئات البنات جربن «المنفردة» في السجون الأسدية، غرفة طولها متر وعرضها نصف متر وبابها ثخين سميك كالجدار، ما لها إلا طاقة صغيرة في السقف، والطاقة هي وسيلة الاتصال الوحيدة بين الفتاة وبين جلادها، يرمون البنت في تلك الغرفة ويقفلون الباب ويرحلون، وما أدراك ما صوت القفل وما الذي يصنعه في النفوس من تأثير ومن مشاعر سلبية مخيفة؟! وتجلس الفتاة وحدها خلف الباب الموصد، تحاول معرفة الليل من النهار، والصيف من الشتاء، تقف على رؤوس أصابعها لعلها تشعر بنسمة المساء في الصيف أو بدفء الشمس في الليالي الباردة ليس في الغرفة إلا بطانية شتوية تنام عليها فكأنها تنام على الأرض الجرداء، لا تستطيع مد رجليها –في غرفة طولها متر– فتتكور على نفسها حتى يبس جسمها ونحل عودها. وتنام على الأرض بالمنفردة أياماً وليالي طويلة، وتعاني من مشاعر قاسية تشعر بأن العالم تخلى عنها وتابع حياته ونسيها. هي وحدها مع الحشرات، والباب مقفل ويصاحبها أحياناً جرذ أو أكثر يتجول هنا أو هناك، والصراصير تستوطن المكان وكم أيقظتها وهي تمشي على وجهها أو يديها. وللنساء ظروف معينة وحاجات خاصة، والبنت تستحي وتخفي وضعها هذا عن أبيها وأخيها فلما دخلت السجن اضطرت لطلب حاجتها من سجانها، وكم شعرت بالظلم والقهر أن يطلع رجل مجرم غريب على أسرارها ويعرف أخص خصوصياتها وقد حرصت كل الحرص على إخفاء ذلك الأمر عن أقرب الناس إليها. الأمر الذي زاد عذابها وحنقها على سجانيها. الوضع فظيع داخل السجون والأمراض منتشرة فيه بكثرة، بما فيها الأمراض القديمة التي انقرضت، لقد رجعت الأمراض وغزت المعتقلات والسجون فتصاب واحدة من كل عشرين معتقلة بمرض مزمن عضال... أمراض حاربها العالم لعقود فذهبت وبادت واستطاع النظام الأسدي استحضارها من جديد، باستنبات جراثيمها في أقبيته العفنة (مثل السل والطاعون). ولقد ظهرت في المعتقلات أمراض جديدة وحساسية من نوع غريب، فسقط شعر إحداهما حتى صلعت، ولازمت الأخرى حكة جلدية واحمرار لم يفارقها حتى اليوم

يتبع.....

مسجدنا العمري

بتوسط مدينة قدسيا يرتبط بالكثير من الأحداث البارزة التي مرت بها المدينة منذ بنائه بدءاً من ارتباط اسم البلدة وساحتها به، وصولاً لارتباطه الوثيق بالحراك السلمي الذي شهدته المدينة ضد نظام الأسد، ليكون منطلقاً للثورة مع خروج أولى المظاهرات منه، كما يذكر الناس دوره الأكبر في الاجتماعات المتعلقة بالهدنة مع النظام، وليبقى مشاراً للجدل كما عهدته المدينة وليصبح بعد إعادة تأهيله محلاً للتجاذبات الحاصلة في المدينة بين الأهالي وبخاصةٍ بعد إعادة تأهيله إثر تعرضه للقصف والحرق في 26/6/2012 وكذلك في الشهر العاشر من العام نفسه وعلى إثر الهجمة الشرسة التي تعرضت لها المدينة...

النظرةُ التاريخية السابقة كانت مقدمةً لحكايات المسجد العمري الذي انقسم إلى طوابق ثلاث لكلٍ واحدةٍ منها قصةٌ وحكاية، تضع في الطريق إشاراتٍ وعلامات استفهام... والرحلة تبدأ من المرحلة التي جمعت فيها التبرعات لإعادة تأهيله والإنفاق على خدماته التي تكفل بها أهل الفضل من أموالهم الخاصة فيما تنصل منه وزارة الأوقاف التابعة لنظام الأسد، بالإضافة إلى القائمين على المسجد والمشرفين عليه أولئك الذين اتخذوه مهنة ومكسباً عند كل ((لمية)) لخدمته فما إن تسمع آذانهم بدخول بعض المال لصالح المسجد حتى يتهافتوا ليكون لهم حصة الأسد، سواءً من الناحية المادية أو من ناحية كسب السمعة و ((الوجهنة)) كما تسمى بالعرف العام، وبالتأكيد نحن نتكلم عن مرحلة تأهيل المسجد حتى اللحظة لننتقل إلى الأعلى ونرجع بالذاكرة نحو التاريخ الذي دخل به اللاجئون الفلسطينيون إليه وما جره دخولهم من تبعات من الناحيتين الإيجابية والسلبية، وبسبب غياب الإدارة الواعية والرؤية الموحدة للهدف من تواجد هؤلاء الإخوة فيه بدأت المشاكل بالظهور، وليتحول الدعم القادم إليهم إلى وسيلةٍ جديدةٍ للكسب ارتأى بعض الناس امتهانها، ولنسمع في الفترة الأخيرة عن رغبةٍ بإخراج اللاجئين منه بحجة عدم اتساع حرم المسجد للمصلين مع العلم أن مرتادي المسجد هم قلة في أيام الأسبوع حيث هرب من دخوله بعض الأهالي واعتبروه بؤرة للمشاكل والخطر، ويذكر أن الحجة الثانية هي الأيادي الخفية التي تسيطر على مصير المسجد، والحقيقة كما أسلفنا أن الكل وجد فيه إطاراً للكسب إلا من رحم ربي، فعمل على التدخل فيه، لكن السؤال المرتبط بهذا الملف هو ما يطرحه هؤلاء الناس حول مصيرهم فيما لوتم إخراجهم، إذ لم يتأمن بعد البديل المناسب، وأما ما نطرحه نحن فهو دائرة استفهام عن الواقفين وراء هذه المحاولة التي تعتبر عملاً غير إنساني إذا لم يتوفر البديل للناس...؟!!

ونتدرج في النزول إلى الطابق الأوسط للمسجد والذي أصبح بمثابةِ منبرٍ مرتبط بأحد مشايخ المدينة والذي اعتبر إمام المسجد ولا تصح لغيره، وإن كنا لا ننكر الدور الذي قام به لمصلحة الثورة وإن كان يراها البعض دوراً خجولاً لم نرى ثقله على الأرض حتى اللحظة، لكن المشاركة بالثورة ليست تشريفاً لها بل هي واجبٌ ديني وأخلاقي تشرف من دخل تحت عبائتها وليس لأحدٍ من فضلٍ عليها...

ويبقى الإشارة للملف الأخير، ونشير إلى قبو المسجد الذي يعتبر ملف فسادٍ كامل، ويحتاج الوقت الكثير للحديث عنه وبخاصة أن الأيادي المتلاعبة به متعددة والكل يحاول استغلاله لأهدافه ومآربه، وينسى هؤلاء أنه عائمٌ على بحرٍ من المياه فلا رقيب ولا حسيب ولا بديل وليست مشكلة المياه حدثٌ طارئ بل هي مشكلةٌ قديمة لم تعالج ولم تجد حتى اليوم من يقدر طريقة وحلاً ناجعاً للتعامل معها.

ملفات العمري وحكاياته تثبت انقسام المدينة إلى ما يشبه الدويلات الشخصية التي تفكر في مصالحها على حساب الغاية الأهم وهي استمرار الثورة لخدمة الناس في المستقبل، والكل يقدم نفسه على أنه حامل راية الثورة والعامل لخدمتها، في الوقت الذي يغيب فيه النظرة الواضحة والتعاون فيما بين المحسوبين على الثورة، هذا إذا لم نقل غياب النظرة الأخلاقية اتجاه حرمة هذا الوقف الذي هو في النهاية بيت الله تعالى... ويكفي في هذا المقام أن نذكر هؤلاء بتقوى الله في أمرنا.

ثقافة الحب (٨)

تمشي وعينها تنظر نحو السماء وكأنها تبحث عن وجه القمر في عتمة ليل، وحدها الأغنيات الصباحية التي اعتادت سماعها في شوارع دمشق وحاراتها القديمة ترافقها في مشوارها، تدندن فيروزيات اختارتها عنواناً لبعض ما كتبته، تسند رأسها على الجدار الأسود تكتشف أنها وحيدةً في عالمها الجديد، حتى الأصدقاء ما عادت تعرف عن أخبارهم، تشتاق لفنجان قهوة شربته قبل خروجها ذلك اليوم، تشتاق إلى حضنٍ دافء يعيد لها حرارة جسدها الذي افتقدته طيلة تلك المدة الطويلة... أسئلةٌ كثيرةٌ تداهم تفكيرها... الكثير من الأسئلة بلا إجابات... فقدت إحساسها بوجودها... ما عادت تشعر بنفسها تحت وقع الألم... أي ألمٍ هذا؟ بعض اللكمات كانت كفيلةً بجعلها تصحو من غفوتها لتدرك أنها تقبع في زنزانة... تصرخ بقوة تنادي أمها التي افتقدتها وإلى أولادها الصغار ثم ترتمي فوق أرضٍ مبللةٍ بالخوف.... أحن إلى خبز أمي تلك الأغنيةُ التي بات لها معنىً آخر في لحظةٍ تحتاج فيها لشيءٍ يشدها نحو عالمٍ أفضل من هذا. الحب يأتيها على خيوط أملٍ تمتد عبر نافذة الزنزانة... يحملها في محطاتٍ عرفتها وأخرى آثرت أن تتعرف عليها اليوم، تدخل في غرفةٍ مثلثة الأضلاع، معادلةُ الحب وارتباطها بمفاهيم ما اعتدنا البحث عنها شكلت في داخلها ما يشبه الشكل الهندسي ((الانفعال العاطفي، الأشخاص، الفعل)) في المحصلة لا يمكن إلا الجمع بينها، لتشكل الفسيفساء الذي نحتاجه لبناء علاقاتنا، لوحةٌ نرسمها بريشةٍ من الحنان الذي افتقدناه في مجتمعنا، لوحةٌ تنطق بحب الوطن والأسرة والآخرين، ضمن إطار الولاء لله تعالى... ولأول مرةٍ اختار الحروف لكل النساء اللواتي يشبهن دمشق، بل ربما لمن وجدت فيهم نكهة الياسمين الدمشقي، لزوجتي التي تدفعني لمزيد من الحب لمدينتي، وتثير في داخلي سؤالاً عن سبب ارتباط الحب بالوطن والأشخاص، فإذا ما غاب وطنٌ رحلنا إليه بكلنا حتى ولو على سطور ورقةٍ بيضاء، محملين بالكثير من الشوق، كما لو غاب شخصٌ وافتقدنا وجوده بيننا، لنلتقي بعض صوره أو عباراتها أو حتى بعض خلافاتنا معه، ربما لأننا مرتبطون بجذورٍ من الأفكار والمفاهيم التي تجمع هذه الأشياء بل حتماً لأن مفهوم الحب يرتبط أصلاً بتواجد الطرف الآخر، ذاك الطرف الذي نصنعه بمخيلتنا لنجده في أول سطور حياتنا خارجاً من خيالاتنا كحقيقة بهيئة فكرة أو وطن أو إنسانٍ ننتمي إليه، ونكتب له بالحبر والدم بعض حروف العشق الحمراء لنصوغ معه ذات ربيعٍ تاريخاً وحدوداً نلج إليها ونحتمي بها كما يحتمي الفرسان بدرعٍ، كما يحتمي الناس بحصن أو قلعةٍ شامخة، الحب حصن، الوطن... الأنثى... الرجل... كلها حصون ننتمي إليها...!!

بعض الحصون تغادرنا بدل أن نغادرها، نفتقدها، نشتاقها، هؤلاء هم الأصدقاء الذين رحلوا من حياتنا في ظروف الحرب والثورة، ربما أطيافهم لم تزل تقاتل ربما بعضهم ينتظر هناك في غياهب المعتقل... بعضهم غيبهم التراب... لكن أفكارهم لم تزل عالقةً متجذرةً تحثنا على الاستمرار برحلةٍ تعاهدنا عليها لنلتقي عند ضفة انتصار، وبعد انتظار تتغير معاني الحروف لكن نسيم الحرية يجعل من الحب دليلاً في درب السير نحوه، ارتقاءً بفكرك نحو زرقة سماء فسيحة تمتد بروحك وجسدك محطماً جميع القيود، فلا غرفة السجن تعنيك ولا عصا الجلاد تؤلمك، بل وحتى يصبح الغناء خناجر ورد كما تقول الأغنية ويتحول القلب إلى دوحةٍ خضراء، فكيف يغيب معنى الحب والحرية عن بعض الناس، ويقبلون بالبقاء تحت وطأة قيود تدمي حتى فكرهم، وتغتال إنسانيتهم...؟!

حين كنت أصوغ الحروف كنت أبحث عن معانٍ أجمع فيها بين وطني وأنثىً هي زوجتي، وأخرى غابت أخشى أني أنعيها، لأهمس في الفضاء أن احتراف الحب يشبه احتراق، لكن احتراقك في سبيل غايةٍ سامية يصبح طائراً يحملك في عوالم أكثر روعةً من عالمك رغم كل الجراحات التي قد تطالك، نفتقد للبعض، نفتقد لرؤيتهم... لحديثهم... لاندفاعهم الذي يحفزنا، لنقول في النهاية أن الحب لا تكتمل صورته بغير الطرف الآخر الذي نحتاجه ونضحي من أجله... عقيدةً... ابناً .. زوجةً أو زوجاً... وطناً.

شهيد .. لكن بصمت

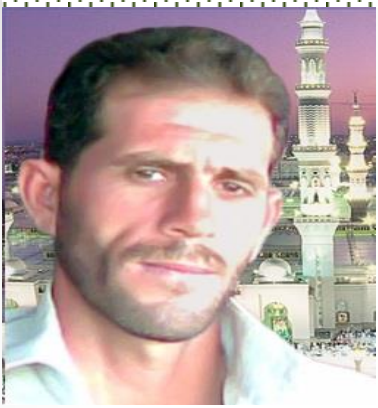

هناك أشخاص يمرون في هذه الحياة بصمتٍ دون أن يشعر بهم أحد، لكن ذلك لا يعني بأي حالٍ أنهم يعيشون حياتهم من دون فائدة، والصحيح أن الكثير من هؤلاء الأشخاص يكونون ذوي أفعال عظيمة تؤثر على كثير ممن يحيطون بهم، بعضهم يكون عاملاً مجداً، وآخر يكون رب أسرة ناجح، وثالث يكون معلم متفانٍ، ورابع يكون شهيداً.

منذر مراد كان كل ذلك وأكثر، كان عاملا مبدعاً في عمله، ورب أسرةٍ ناجحٍ، ومُعلم سامٍ في أخلاقه وسلوكه، وأخيراً فإن منذر قد صار شهيداً.

عندما انطلقت الثورة وكانت لاتزال في أيامها الأولى ومراحلها السلمية، شارك منذر في أحداثها حضر المظاهرات ومشى فيها وهتف وطالب بالحرية لنفسه ولرفاقه ولأولاده، وأحياناً كان منذر يقف بعيداً عن المظاهرات لحراستها وحماية المشاركين فيها، لم تفتر عزيمته ولم يلن ساعده وبقيت الحرية والعدالة والكرامة والعزة مطالبه.

طبعاً منذر لم يكن يسعى لا إلى مجدٍ شخصيٍ، ولا إلى زعامةٍ أو رياسةٍ، ولا إلى أموالٍ وغنائم، لذلك كان يتجنب أي موقفٍ من مواقف الاستعراض والتباهي، كان يعمل بصمت ويشارك بصمت، وحين ينتهي مما يجب عليه عمله يعود إلى قضاء عمله الطبيعي دون أن يراه أحد أو يعلم بما فعله أحد.

وحين بدأت مرحلة حمل السلاح كان لمنذر رأيه في الأمر فقد كان يعتقد أن السلاح رغم أنه فرض على الثورة إلى أن حمله يعني أن مسار الثورة سيتغير، ووجود السلاح في يد من لا يقدر مخاطره سيؤدي إلى الكثير من النتائج السلبية، ومع هذا فإن منذر لم يكن ليسمح لنفسه بألا يشارك في الدفاع عن أهله ودينه ووطنه لذلك حمل السلاح دون استعراض، حمله سراً لأنه أمن أن السلاح له استعمال واحد وهو يوم المعركة.

ومع اقتراب الشمس من المغيب يوم الأربعاء الموافق ل 3 تشرين الأول وهو اليوم الأول في معركة اقتحام قدسيا، وحينما كان البطل منذر يتصدى لقوات الغدر المهاجمة، استقرت رصاصة متفجرة في صدر البطل منذر، وكان أن أصبح منذر مراد شهيداً.

من أعمال براعم الحرية